ماستر 1 تخصص تاريخ الغرب الإسلامي.

مقياس التاريخ السياسي للأندلس.

المحاضرة 2، الفتح الإسلامي للأندلس

يختلف المؤرخون حول الاسباب التي دفعت المسلمين الى فتح الاندلس وخاصة تلك الآراء المتعلقة بمساعدة يوليان حاكم سبتة للمسلمين، فيرى البعض ان اسبابها أخلاقية تتعلق باعتداء لذريق على ابنة يوليان حاكم سبتة لذلك اتصل هذا الاخير بموسى بن نصير انتقاما من الملك القوطي.

أما الرأي الثاني يرجع هذا التعاون الى اسباب سياسية تتعلق بأبناء الملك القوطي غيشته عندما اغتصب لذريق العرش منهم فاتصلوا بحاكم سبتة طالبين المساعدة فقادهم الى موسى بن نصير بالقيروان وتم الاتفاق على ان يمدهم بجيش لاسترجاع ملكهم مقابل جزية سنوية (هذه الرواية ترويها المصادر الاسبانية).

و الراي الثالث يربط الفتح بالصراع الذي كان مستمرا بين المسلمين و البيزنطيين الذين كانوا يهاجمون الشواطئ الافريقية و الجزر القريبة مثل منورقة و ميورقة و صقلية و سردانية و جزر البليار(الجزائر الشرقية) وأن أسطول القوط انضم الى أسطول الروم و بالتالي عمل المسلمون على الاستلاء على هذه الجزر و كان فتح الاندلس مواصلة لهذه الحرب .

هذه الآراء يمكن اعتبارها أسباب مباشرة لأنها حدثت قريبا من زمن الفتح ،الا أن الاسباب الحقيقية هي ان امتداد الفتح الى الاندلس كان أمرا طبيعيا يتماشى مع حقيقة الدعوة الاسلامية و قد تم ذلك بعد أن تهيأت الظروف ، وما يؤكد هذا هي محاولة عقبة بن نافع قبل ذلك فتح الأندلس عندما وصل الى المحيط الاطلسي لكن الظروف لم تكن مناسبة للعبور فتأجل الفتح الى عهد موسى بن نصير ،كما أن الفتح لم يتوقف عند الاندلس بل تواصلت خطة الفتح الى فرنسا و بالتالي فالهدف هو تبليغ رسالة الاسلام و هي الاسباب التي دفعت المسلمون الى الخروج من جزيرة العرب .

ومن العوامل التي ساعدت على الفتح، استقرار المسلمين بأفريقية واعتناق البربر الاسلام وحماستهم لحمل دعوته وبذلهم ارواحهم في سبيل ذلك.

الحذر واليقظة الذين اتصف بهما المسلمون بمحاولة التعرف على حال البلاد من خلال حملات خفيفة سريعة استطلاعية.

اهتمام المسلمون بالأسطول البحري من خلال إقامة دار صناعة السفن في افريقية منذ عهد حسان بن النعمان.

التدهور السياسي والاجتماعي الذي عرفته الاندلس قبل الفتح حيث الظلم و الاضطهاد لأغلب الطبقات الاجتماعية و دور يوليان حاكم سبتة ورجاله في تسهيل مهمة الفاتحين.

بعد أن اطمأن موسى بن نصير على قدرة المسلمين في العبور الى الاندلس خاصة بعد الدعم الذي قدمه يوليان كتب الى الوليد بن عبد الملك يستأذنه في الفتح، فرد عليه الخليفة بضرورة اخذ الحذر وألا يزج بالمسلمين في أهوال البحر.

ولهذا أرسل موسى حملة استطلاعية بقيادة طريف بن مالك (أبو زرعة) وكان الهدف استكشاف المنطقة ومعرفة أحسن الاماكن التي يمكن النزول بها، وعادت هذه الحملة بالغنائم الكثيرة، وبنجاح الحملة اقتنع المسلمون بالحالة المتدهورة التي كانت عليها الاندلس وبإخلاص يوليان.

شجعت هذه الحملة موسى بن نصير على اعداد جيش كبير من العرب والبربر أسند قيادته لطارق بن زياد – هناك اختلاف كبير حول نسب طارق بن زياد فيرى البعض أنه فارسي من همذان وهو مولى لموسى بن نصير بينما يرى البعض الأخر أنه بربري من قبيلة نفزاوة اعتنق أبوه الاسلام وحسن اسلامه و هذا هو الأقرب الى الصواب –الذي كان عاملا على طنجة و لمس فيه الكفاءة لقيادة هذه الحملة، وكان اعتماد موسى على البربر يعود الى معرفة هؤلاء بطبيعة البلاد الاسبانية المجاورة لهم اضافة الى شجاعتهم و خبرتهم العسكرية.

وفي سنة 92هـ 711م جاز المسلمون المضيق على دفعات و نزلوا في جبل الفتح و تمكنوا من القضاء على المقاومة التي تصدت لهم و تمكنوا من بسط نفوذهم على المناطق المجاورة، و في هذا الوقت جهز لذريق جيشا كبيرا مما جعل طارق يطلب المدد من موسى بن نصير فأمده بخمسة الاف وتمكن المسلمون في معركة " واد لكة " التي دامت ثمانية أيام من الانتصار على جيش لذريق .

بعد هذا الانتصار وجه طارق بعض من جيشه لفتح المدن الاندلسية منها قرطبة بقيادة المغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك، وفي الوقت نفسه وجه فرقة من جيشه حيث تمكنت من فتح مالقة وغرناطة و مرسية، ثم سار طارق شمالا الى طليطلة فدخلها دون مقاومة بعد أن فر منها حاكمها.

ومع اقتراب فصل الشتاء خشي طارق على جنوده فاستقر بالمدينة واستنجد بقائده موسى بن نصير

وهنا تشير بعض المصادر الى أن موسى بن نصير هو الذي أمر طارق بوقف الفتح حرصا على عدم التوغل بالمسلمين في مجاهل تؤدي الى تدميرهم ، ومهما يكن من أمر فقد عبر موسى مضيق جبل طارق على رأس عشرة ألاف مقاتل من العرب و ثمانية ألاف من البربر في رمضان سنة 93هـ 712م وسلك موسى طريقا غير الذي سلكه طارق و تمكن من فتح شذونة عنوة ثم سار الى قرمونة ذات الحصون القوية و التي دخلها بمساعدة جنود يوليان ، ومنها تابع سيره الى اشبيلية كبرى مدن الاندلس وحاصرها أشهرا حتى سقطت بيد المسلمين ،وقد أوكل موسى مهمة حماية المدينة الى اليهود بعد تعاونهم مع المسلمين ، وسار موسى الى ماردة المدينة الرومانية القديمة ذات التراث العمراني البديع و قد حاصرها موسى عدة أشهر ثم صالح أهلها على أن يدفعوا الجزية وكان ذلك سنة 94هـ 713 م وفي هذا الوقت ظهر تمرد في اشبيلية فبعث موسى ابنه عبد العزيز الذي أعاد فتح المدينة و أعادها لحظيرة دولة الاسلام .

وبعد هذه الانتصارات واصل موسى السير و التقى بطارق قرب طليطلة عند نهر التاجو Tago،ثم اشتركا القائدان الكبيران في مواصلة فتح ما تبقى من بلاد الاندلس و زحفا نحو الشمال الشرقي حيث فتحا مدنا و حصونا كثيرة ،فاستولا على سرقسطة و مدينة وشقة و لاردة حتى بلغا شاطئ البحر الشمالي عند حدود فرنسا الجنوبية ، وهكذا انتهى كل من موسى بن نصير و طارق من فتوحهما و كانت أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك قد قضت برجوعهما الى دمشق ، فرجع موسى الى دمشق بعد أن خلف على الاندلس ابنه عبد العزيز في أواخر سنة 95هـ 714م .

نتائج الفتح العربي للأندلس

من الناحية السياسية سقطت مملكة القوط وتحولت اسبانيا الى ولاية تابعة للدولة الاسلامية يحكمها ولاة يعينهم والي افريقية أو الخليفة.

ومن الناحية الاجتماعية حدث تغيير شامل في المجتمع الاسباني حيث اختفت الفوارق بين الطبقات وانقسم المجتمع الى: العرب وهم الذين ساهموا في الفتوح أو هاجروا الى اسبانيا بعد الفتح، ثم البربر وهم أهل المغرب وساهموا في الفتوحات، والاسبان وهم سكان البلاد الاصليين وقد تعلموا اللغة العربية وسموا بالمستعربين و بقوا على دينهم بشرط دفع الجزية.

كما ظهرت طبقة اخرى وهي طبقة المولدين والتي نشأت من تزاوج العرب بالإسبان.

أما اقتصاديا فقد تحسنت الاوضاع الاقتصادية وأعيد توزيع الاراضي الزراعية بين العرب والبربر والاسبان توزيعا عادلا وأصبح لهم حق امتلاك الاراضي وزراعتها بعدما كانوا يعملون لصالح الارستقراطية، كما ألغيت الضرائب وفرضت الجزية على غير المسلمين هذا الوضع أدى الى انتشار الرخاء والرفاهية في المجتمع.

وفي مجال الديني واللغوي فقد منح الاسلام السكان جميعا حرية العبادة حسب الديانة التي يعتنقها الفرد سواء كان مسلما او مسحيا او يهوديا، كما أدى الفتح الى انتشار اللغة العربية والاسلام وظهور الحضارة الاسلامية والعلم والثقافة.